أسلوب الأسئلة السابرة عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الدكتور
عقيل رشيد عبد الشهيد الأسدي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية
Akeel.alasdi@uokufa.edu.iq

للأسئلة أهمية كبيرة في التعليم كونها أداة يعتمد عليها المدرس في تحقيق أهداف تربوية وتعليمية، وإحدى العوامل الرئيسية لنجاحه في تمكين طلبته من المادة الدراسية وتوجيههم وإثارة تفكيرهم وحملهم على تعلم ما يريدون أن يتعلموه، لما للسؤال من تأثير مباشر في نفسية المسؤول، وارتقاء مستوى تفكيره للإجابة أو البحث عن أدلة تقنع السائل.

وقد أرشدنا القران الكريم إلى السؤال، لان السؤال مفتاح كل علم. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل /٤٣. واستعمل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام الأسئلة في كثير من المواقف وكانت تدعو أسئلتهم إلى التفكير، والنظر، والتأمل، والبحث، والاستنتاج، ولم تكن مجرد أسئلة تهدف إلى الحصول على المعلومات. ومن الأسئلة التي استعملوها (الأسئلة السابرة) والسؤال السابر سؤال معمق يسبر أعماق خبرات الطالب وفهمه وتفكيره ويساعده على تشخيص الفجوات في مستوى التفكير بهدف تحديد متطلبات الطلبة وتزويدهم بما يلزم من خبرات حتى يستقيم نموهم وتطورهم. ومن الجدير بالذكر إن أول من استعمل مفهوم السؤال السابر في العصر الحديث هو العالم السويسري جان بياجيه للكشف عن المراحل النمائية للطفل، إلا أن الإمام الصادق عليه السلام قد سبقه بمئات السنين في استعمال هذا المفهوم في كثير من مناقشاته ومناظراته وطالما أفحم خصمه وسنبين ذلك إن شاء الله في المبحث الثاني من هذا البحث الذي هو اسهامة متواضعة في بيان جزء يسير من تراث الإمام الصادق عليه السلام نسأل الله التوفيق والسداد، اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث:

١- المبحث الأول تناولت فيه التعريف بالأسئلة السابرة من حيث: مفهوم الأسئلة السابرة لغة واصطلاحا، وأنواعها، وصفاتها، ومزاياها، وأهدافها، وفاعليتها في التعليم، وشروط استعمالها.

٢- المبحث الثاني تناولت فيه توظيف الأسئلة السابرة عند الإمام الصادق عليه السلام في مناظراته.

٣- مطابقة أسئلة الإمام عليه السلام السابرة مع مفاهيمها الحديثة.

ثم انتهى البحث بخاتمة مع جملة من الاستنتاجات والتوصيات، أما المصادر التي اعتمدها الباحث في البحث كانت على نوعين: مصادر تاريخية، ومصادر تربوية حديثة معاصرة.

المبحث الأول

التعريف بالأسئلة السابرة

أسلوب الأسئلة السابرة:

ينظر إلى السؤال في العملية التعليمية على انه من المثيرات والمحفزات المهمة في عملية التعلم، فالسؤال يستثير تفكير الأفراد على اختلاف مستوياتهم العلمية والعقلية والاجتماعية، وعلى اختلاف مواقع عملهم ومسؤولياتهم، وله أهمية بالغة بالنسبة لعملية التعليم لإسهامها في تحقيق الأهداف التعليمية، إذ إنه يحول الطالب من متلقٍ للمعلومات إلى عضوٍ تعليمي فاعل ونشط له وجود في غرفة الصف ومن هذه الأسئلة الأسئلة السابرة.

الأسلوب لغة:

(الأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ يقال: أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أَساليبَ، والأُسْلُوبُ الطريقُ تأْخذ فيه، والأُسْلوبُ بالضم الفَنُّ يقال: أَخَذ فلانٌ في أَساليبَ من القول أَي أَفانِينَ منه)[١].

الأسلوب اصطلاحاً:

(هو مجموعة قواعد أو ضوابط أو كيفيات ينفذ بها المدرس طريقة التدريس لتحقيق أهداف الدرس، ويشمل ما يوظفه المدرس من أجل توظيف طريقة التدريس بفعالية تميزه من غيره من المدرسين، فهو يرتبط بالمدرس وسماته الشخصية).[٢]

السبر لغة:

(السَّبْرُ: التَّجْرِبَةُ، وسَبَر الشيءَ سَبْراً: حَزَره وخَبَرهُ، والسَّبْر اسْتِخْراجُ كُنْهِ الأَمر،

والسَّبْر مَصْدَرُ سَبَرَ الجُرْحَ يَسْبُرُه ويَسْبِرُه سَبْراً نَظَر مِقْدارَه وقاسَه؛ لِيَعْرِفَ غَوْرَه ومَسْبُرَتُهُ نِهايَتُه)[٣].

الأسئلة السابرة اصطلاحاً:

عرفت الأسئلة السابرة تعريفات عدة سنورد منها اثنين:

١- عرفها الخليلي وآخرون (١٩٩٦) بأنها: (سلسلة من الأسئلة تعقب إجابة الطالب الأولية، لكون الإجابة سطحية أو غير صحيحة أو تحتاج إلى توضيح، وتؤدي هذه الأسئلة إلى توليد المزيد من المعلومات أو لتوضيح بعضها، أو التركيز على البعض الآخر أو إرجاع المناقشة لعامة الطلاب في حجرة الصف)[٤].

٢- عرفها قطامي والشديفات (٢٠٠٤) بأنها: (السؤال الذي يلي إجابة الطالب الأولية، ويتم بتقديم أسئلة إلى الطالب ذات صياغة جديدة، أو ذات إشارات جديدة، بقصد توجيهه نحو الإجابة الصحيحة أو تحسين مستوى إجابته)[٥].

يتضح من التعريفين السابقين أن الأسئلة السابرة أسئلة معمقة تسبر أعماق خبرات الطلبة وفهمهم وتفكيرهم وتساعدهم على تشخيص الفجوات في خبراتهم من خلال نوع الإجابة التي يقدمها الطالب للتركيز على الجزء المبهم أو الناقص أو الخاطئ منها، بقصد توضيح المبهم، وإكمال الناقص، وتصحيح الخاطئ كل ذلك من أجل إيصال الطالب إلى الإجابة الكاملة الأكثر صحة ودقة.

ففي كثير من المواقف والمناقشات الصفية يوجه المعلم سؤالا لأحد المتعلمين فيجيب المتعلم إجابة أولية عن السؤال قد تكون هذه الإجابة خاطئة أو ناقصة أو جزئية وفي أحيان أخرى يشعر المعلم أن المتعلم غير متأكد من إجابته وفي هذه الحالة يحتاج المعلم إلى أن يوجه للمتعلم نفسه سؤالا أو أسئلة أخرى للكشف عن معرفته واستدعاء معلوماته السابقة بهدف مساعدته على تصحيح الإجابة أو إكمالها أو تأكيدها.

- **أنواع الأسئلة السابرة:** تنقسم الأسئلة السابرة من حيث غاياتها على أقسام منها:

١ـ الأسئلة السابرة التشجيعية:

(هي مجموعة متتابعة من الأسئلة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما تكون إجابته عن

السؤال خاطئة أو عندما لا يتمكن من الإجابة. وتمثل الأسئلة السابرة التشجيعية تلميحات أو إشارات تستدعي معلومات المتعلم السابقة، وتقوده نحو الإجابة الصحيحة عن السؤال)[٦].

مثال تطبيقي:

المعلم: ما مفهوم التقوى؟

الطالب: لا أعرف.

المعلم: هل شاهدت أو سمعت رجلاً يسرق؟

الطالب: نعم.

المعلم: هل تتمنى أن تكون مثله؟

الطالب: لا.

المعلم: لماذا؟

الطالب: خوفاً من الله تعالى.

المعلم: ولماذا تخاف الله تعالى؟

الطالب: لأن الله أمرنا بعدم السرقة.

المعلم: إذن ما التقوى؟

الطالب: خشية الله والالتزام بأوامره.

المعلم: أحسنت، إذن التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل[٧].

٢ـ الأسئلة السابرة التوضيحية:

(هي مجموعة من الأسئلة المتتابعة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما يعطي إجابة أولية ناقصة عن السؤال، وتهدف هذه الأسئلة إلى تعزيز الجزء الصحيح من الإجابة وتوجيه المتعلم إلى استكمال إجابته بإضافة معلومات توضيحية جديدة للمعلومات الأولية التي ذكرها في إجابته عن السؤال)[٨].

مثال تطبيقي:

المعلم: ما أثر مفهوم أسم الله الرزاق في حياة المسلم؟

الطالب: يجعل المسلم يوقن بأن الرزق كله بيد الله تعالى.

المعلم: لماذا يجب أن يوقن المسلم أن الرزق بيد الله تعالى؟

الطالب: ليتحرر من المخاوف.

المعلم: ما المخاوف التي يحررها الإيمان باسم الله الرزاق؟

الطالب: يحرره من الخوف على رزقه.

المعلم: كيف يتحرر من الخوف على رزقه؟

الطالب: يوقن إن الرزق بيد الله فلا زيادة أو نقصان فيه إلا بأمر الله تعالى.

المعلم: وماذا يترتب على الإنسان حينئذ؟

الطالب: يبذل الجهد في السعي ويتوكل على الله حق التوكل وبذلك يريح قلبه وعقله من التفكر في الرزق.

المعلم: أحسنت[٩].

٣ـ الأسئلة السابرة التركيزية:

(هي مجموعة متتابعة من الأسئلة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما تكون إجابته الأولية عن السؤال صحيحة، وتهدف هذه الأسئلة إلى تأكيد الإجابة الصحيحة وربط جزئيات مختلفة للخروج بتعميم مشترك).[١٠]

مثال تطبيقي:

المعلم: كيف عالج الإسلام مشكلة البطالة؟

الطالب: أوجب العمل على القادرين.

طالب آخر: أوجب تكافؤ فرص العمل للجميع.

طالب آخر: ضرورة الالتزام بأحكام النفقات.

طالب آخر: يجب تطبيق أحكام الميراث.

المعلم: ما هي أفضل هذه السبل لمعالجة البطالة؟ (١١)

٤ـ الأسئلة السابرة التبريرية:

(هي مجموعة من الأسئلة يوجهها المعلم للمتعلم نفسه عندما يعطي إجابته الأولية عن السؤال ويشعر المعلم أن المتعلم غير متأكد من إجابته أو أنه لا تتوافر لديه المعلومات الواضحة عن السؤال المطروح، فيقوم المعلم بتوجيه سؤال آخر للمتعلم ليقدم مبررات لإجابته، وبذلك يكشف ما إذا كانت إجابة المتعلم ناتجة عن وعي وفهم صحيح للمعلومات، أم أنها ناتجة عن فهم خاطئ فيقوم بتأكيد الفهم الصحيح وتعزيزه وتصحيح الفهم الخاطئ)(١٢).

مثال تطبيقي:

المعلم: من هم أُلو العزم من الرسل؟

الطالب: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد (عليهم الصلاة والسلام).

المعلم: لماذا سُمي هؤلاء الرسل بأولي العزم؟

الطالب: لأنهم أكثر الأنبياء والرسل صبراً على أقوامهم في الدعوة إلى الله تعالى(١٣).

- **صفات السؤال السابر:** تتصف الأسئلة السابرة بصفات عامة يمكن أن نذكر منها الآتي:

١- سؤال يلي إجابة الطالب الأولية.

٢- يثير النقاش البناء داخل غرفة الصف.

٣- يهدف إلى استخراج المزيد من الإجابات خاصة عندما تكون إجابة الطلاب غير صحيحة أو غير ناضجة أو سطحية(١٤).

٤- سؤال يعتمد فيه على تدقيق الأفكار وتمحيصها من أجل الوصول إلى الفكرة الرئيسية.

٥- يحتاج إلى مدرس ملم بمادته ومتحسب إلى إجابات متنوعة من الطلبة.

٦- سؤال يصاغ بطريقة استقصائية تثير اهتمام المتعلم بالتدرج من إجابته الأولية إلى إجابة أعمق منها[١٥].

- **فوائد الأسئلة السابرة في التعليم:**

١- تساعد المتعلم في اتخاذ موقف ناقد لإجابته وإجابة الطلبة السطحية والضعيفة.

٢- تجعل المتعلم يتريث في الابتداء بالإجابة على السؤال.

٣- تنمي قدرة المتعلم على التقويم الذاتي لإجابته وإجابة الآخرين.

٤- تجعل المتعلم هدف العملية التعليمية والمعلم هو المرشد والموجه.

٥- تجعل البيئة الصفية نشطة تخلو من الملل والروتين المعتاد.

٦- تعزز ثقة الطالب بنفسه من حيث مشاركته للطلبة في الوصول إلى الإجابة الصحيحة.

٧- تشعر المتعلم بقيمة إجابته وثقافته التي ساهمت في الوصول إلى الإجابة الصحيحة.

٨- تنمي مهارة التفكير عند المتعلم والتركيز في الإجابة .[١٦]

- **فاعلية الأسئلة السابرة في التعليم**

أثبتت العديد من الدراسات التي أجريت في العراق فاعلية الأسئلة السابرة في التعليم، إذ استخدمت هذه الدراسات الأسئلة السابرة كمتغير تجريبي لقياس أثره في المتغير التابع فكانت نتائج الطلبة تشير إلى تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بأسلوب الأسئلة السابرة على طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة الاعتيادية، ومن هذه الدراسات:

١- دراسة الطراونة (١٩٩٨) الموسومة بـ (أثر استعمال الأسئلة المتشعبة والأسئلة السابرة في تحصيل طلاب الصف الأول الثانوي في مادة تاريخ الأدب والنصوص).

٢- دراسة عزيز (٢٠٠٠) الموسومة بـ (أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الأول معهد إعداد المعلمات).

٣- دراسة حسن (٢٠٠٥) الموسومة بـ (فاعلية الأسئلة السابرة التوضيحية في التحصيل النوعي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء).

٤- دراسة الخفاجي (٢٠٠٩) الموسومة بـ (أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل طلاب الصف الرابع الإعدادي في مادة القواعد).

- **أهداف الأسئلة السابرة**

إن للأسئلة السابرة أهدافا عدة نذكر منها:

١- **التوضيح:** بمعنى أن يتابع المعلم حوار الطالب بعد تلقي الإجابة الأولية منه بصيغ معينة من الأسئلة التي تحمل الطالب على توضيح إجابته الأولى.

٢- **نقد الإجابة أو تعديلها:** يفترض أن الطالب لديه القدرة على تعديل إجابته أو نقدها فدور المعلم مساعدته بالأسئلة السابرة التي تكشف عن المراد.

٣- **المتابعة:** بمعنى أن يحث المعلم الطالب على متابعة الفكرة وتطويرها.

٤-**التركيز وتحديد المعنى:**ولهذه الغاية يطرح المعلم أسئلة تساعد الطالب على إعطاء إجابة أكثر تفصيلاً ودقة.

٥- **تقديم الأدلة وتدعيم الإجابات:** وهنا يطلب المعلم من الطالب أن يقدم أدلة على إجابته، يسوغها ويدعمها.

٦- **تحديد العلاقات بين الأشياء:** وفي هذا الموقف يطرح المعلم أسئلة سابرة تساعد الطالب على إدراك العلاقات بين عناصر الفكرة أو مكوناتها عن طريق ملاحظة الأسباب والربط بالنتائج أو إدراك العلاقات المناسبة، فضلاً عن ذلك تعمل الأسئلة السابرة على إغناء النقاش والتفاعل الصفي ويمكن أن يستعملها المعلم في تحقيق أهداف الدرس(١٧).

- **شروط استعمال الأسئلة السابرة في التعليم**

يتطلب التدريس باستعمال الأسئلة السابرة، الإعداد الجيد والمسبق للأسئلة المتوقع طرحها أو إثارتها في أثناء الدرس، بما يتفق مع طبيعة المادة الدراسية والموقف التعليمي

والقدرات النفسية والعقلية للمتعلمين ومن هذه الشروط:

١- إمهال الطالب بما لا يقل عن خمس ثوان بعد طرح السؤال، كي يتبصر بإجابته الأولى ومن ثم تحسينها أو تعديلها.

٢- تزويد الطالب بتغذية راجعة فورية قد تكون لفظية أو على شكل إشارات.

٣- الرضا بالتقدم البطيء الذي يحققه الطلاب في الإجابة عن الأسئلة المطروحة ولا سيما الطلاب بطيئو التعلم.

٤- عدم إحراج الطالب الذي يخفق في تقديم الإجابة الصحيحة، وإعطائه الوقت الكافي للتفكير، قبل تحويل السؤال إلى متعلم آخر، ودونما تأنيب أو تجريح.

٥- فهم إجابة الطالب وعدم رفضها بشكل تعسفي مما يزعزع ثقة الطالب بنفسه ويسبب الإرباك لبقية الطلاب ويهدر الوقت.

٦- عدم الإطالة مع الطالب صاحب الإجابة الأولية منعاً لإرباكه أو إحراجه، وحجب الملل والتشتت عن بقية الطلاب[١٨].

وفي ختام هذا المبحث أود أن أقول ان استعمال الأسئلة السابرة في التعليم يتطلب من المعلم إتقان مجموعة من المهارات الأساسية التي تعينه على كيفية التعامل مع إجابات الطلبة للغور فيها وصولا للإجابة الصحيحة ومن هذه المهارات: الكفاءة العلمية العالية، ضبط الوقت، الطلاقة في استعمال الأسئلة، القيادة الديمقراطية العادلة وإتقان مهارات التواصل.

المبحث الثاني

الأسئلة السابرة في مناظرات الإمام الصادق عليه السلام

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو الإمام الوحيد من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي أتيحت له إمامة دامت أكثر من ثلث قرن، تمحض فيها مجلسه للعلم، وبهذا التخصص سلم الأمة مفاتح العلم النبوي. فأصبح الإمام الصادق عليه السلام فاتح العالم الفكري، بالمنهج العقلاني والتجريبي إذ قامت على أسس مبادئه الدينية، والفقهية، والاجتماعية، والتربوية، والاقتصادية دول فبلغت بها مبالغها الحالية. وفي هذا البحث سنتناول أسلوبا تربويا استعمله الإمام الصادق عليه السلام في كثير من مناظراته وهو أسلوب الأسئلة السابرة.

ومن الجدير بالذكر إن أول من استعمل أسلوب الأسئلة السابرة في العصر الحديث هو العالم المعرفي جان بياجيه وقد جاء اهتمامه به للكشف عن المرحلة النمائية التطورية للطفل. وحتى يتمكن بياجيه من تحديد المرحلة التي يمر بها الطفل كان لا بد له من سبر أعماق كل إجابة يصدرها، لذلك كانت أسئلته متعمقة وسابرة لأعماق الطفل حتى يحدد المرحلة التي يقف فيها وقد ساعدته هذه الأسئلة على تحديد خصائص المرحلة الذهنية، وخصائص تفكير الأطفال منذ الولادة وحتى سن الخامسة والسادسة عشرة[١٩].

والحق أن الإمام الصادق عليه السلام قد سبق هذا العالم بمئات السنين في استعمال هذا الأسلوب وكما سنبين ذلك في مناقشات الإمام ومناظراته ومنها:

١- (دخل عليه أُناس من المعتزلة، وفيهم عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء وحفص بن سالم وأُناس من رؤساء المعتزلة، وذلك حين قتل الوليد واختلف أهل الشام بينهم، فتكلّموا وأكثروا، وخطبوا فأطالوا، فقال لهم الصادق عليه السلام: إنكم قد أكثرتم عليّ فأطلتم فأسندوا أمركم الى رجل منكم، فليتكلّم بحجّتكم وليوجز، فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد فأبلغ وأطال، فكان فيما قال: قتَل أهلُ الشام خليفتهم، وضرب اللّه بعضهم ببعض وتشتّت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروّة ومعدن للخلافة، وهو محمّد بن عبد اللّه بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثمّ نظهر أمرنا معه، وندعو الناس اليه، فمن بايعه كنّا معه وكان معنا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه، ونصبنا له على بغيه، ونردّه إلى الحقّ وأهله، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فإنه لا غناء لنا عن مثلك، لفضلك وكثرة شيعتك.

فلما فرغ قال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم، فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال: إنّما نسخط إذا عُصي اللّه فإذا أُطيع اللّه رضينا، أخبرني يا عمرو لو أن الأمة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة فقيل لك: ولّها من شئت، مَن تولّي؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين، قال: بين كلّهم؟ قال: نعم، قال: بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قريش وغيرهم؟ قال: العَرب والعجم، قال: يا عمرو أتتولّى أبا بكر وعمر أو تتبرّأ منهما؟ قال: أتولاهما، قال: يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما،

قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً، ثمّ ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً، ثمّ جعلها عمر شورى بين ستة، فأخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثمّ أوصى الناس فيهم بشيء ما أراك ترضى به أنت ولا أصحابك، قال: وما صنع؟ قال: أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام، وأن يتشاور اولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شيء، وأوصى مَن بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت الثلاثة أيام ولم يفرغوا ويبايعوا أن يضرب أعناق الستة جميعاً، وإن اجتمع أربعة قبل أن يمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان، أن يضرب أعناق الاثنين، أفترضون بذا فيما تجعلون من الشورى في المسلمين؟ قالوا: لا، قال: يا عمرو دع ذا، أرأيت لو بايعت صاحبك هذا الذي تدعو إليه، ثمّ اجتمعت لكم الأمة ولم يختلف عليكم منهم رجلان، فأفضيتم إلى المشركين؟ قالوا: نعم، قال: فتصنعون ماذا؟ قال: ندعوهم إلى الإسلام فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية، قال: فإن كانوا مجوساً وعبدة النار والبهائم وليسوا بأهل كتاب؟ قال: سواء.

قال عليه السلام: فأخبرني عن القرآن أتقرؤونه؟ قال: نعم، قال: اقرأ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ العنكبوت /٢٩. قال: فاستثنى عزّ وجل واشترط من الذين اوتوا الكتاب فيهم والذين لم يؤمنوا سواء، قال عليه السلام: عمّن أخذت هذا؟ قال: سمعت الناس يقولونه.

قال: فدع ذا فإنهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم، كيف تصنع بالغنيمة؟ قال: اخرج الخمس واقسم أربعة أخماس بين مَن قاتل عليها، قال: تقسمه بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم، قال عليه السلام: فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في فعله وسيرته، وبيني وبينك فقهاء المدينة ومشيختهم فسلهم فإنهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم وألا يهاجروا على أنه إن دهمه من عدوّه دهم فسيتنفرهم فيقاتل بهم وليس لهم من الغنيمة نصيب وأنت تقول بين جميعهم، فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في سيرته في المشركين.

دع ذا، ما تقول في الصدقة؟ قال: فقرأ الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فاطر /٦٠،

قال: نعم فكيف تقسّم بينهم؟ قال: اقسّمها على ثمانية أجزاء، فاعطي كل جزءٍ من الثمانية جزءاً، فقال عليه السلام إن كان صنف منهم عشرة آلاف، وصنف رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد مثلما جعلت لعشرة آلاف؟ قال: نعم، قال: وتصنع بين صدقات أهل الحضر والبوادي فتجعلهم سواء؟ قال: نعم، قال: فخالفت رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ ما به قلت في سيرته، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسّم صدقة البوادي في أهل البوادي، وصدقة الحضر في أهل الحضر، ولا يقسّمها بينهم بالسويّة، إنما يقسّمها قدر ما يحضره منهم، وعلى ما يرى وعلى ما يحضره، فإن كان في نفسك شيء ممّا قلت فإن فقهاء أهل المدينة ومشيختهم كلّهم لا يختلفون في أن رسول الله صلى الله عليه وآله كذا كان يصنع.

ثمّ أقبل على عمرو وقال: اتّقِ الله يا عمرو وأنتم أيها الرهط فاتّقوا الله فإن أبي حدّثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضالّ متكلّف.)[٢٠].

قد يخال الناظر عند أوّل نظرة أن أسئلة الإمام بعيدة عن القصد أجنبيّة عن شأن البيعة لمحمّد، ولكن بعد الرويّة يعرف أن القصد منها جليّ والمناسبة بارزة، وذلك لأنه يريد أن يفهمهم أنهم جهلاء بالشريعة وأحكامها وأن إمامهم الذي يدعون له مثلهم في الجهل بقواعد الدين، وكيف يتولّى الجاهل أمور الأمة وفيهم الأعلم الأفضل. فالإمام لم يبين لهم هذا المعنى مباشرة، بل أوصلهم إليه من خلال مجموعة من الأسئلة السابرة التي سبرت أعماق فهمهم الخاطئ للشريعة.

٢- يروى ((أن أبا حنيفة دخل على الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقال له الإمام: يا أبا حنيفة أنت مفتي أهل العراق؟

قال: نعم.

قال: بم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله، قال: أفأنت عالم بكتاب الله عز وجل، ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟ قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ الكهف/١٨ أي

موضع هو؟

قال أبو حنيفة: هو بين مكة والمدينة، فالتفت الصادق عليه السلام إلى جلسائه، فقال: نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم من القتل وعلى أموالكم من السرقة فقالوا: اللهم نعم.

قال: ويحك يا أبا حنيفة إن الله لا يقول إلاّ حقا، ثم قال عليه السلام: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فاطر/٩٧، أي موضع هو؟

قال أبو حنيفة: ذلك البيت الحرام، فالتفت الصادق عليه السلام إلى جلسائه، فقال لهم: نشدتكم بالله هل تعلمون أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟ قالوا: اللهم نعم، فقال عليه السلام: ويحك يا أبا حنيفة إن الله لا يقول إلاّ حقا.

فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله عزّ وجلّ، أنا صاحب قياس قال الصادق عليه السلام: فانظر في قياسك إن كنت مقيسا، أيها أعظم عند الله القتل أم الزنا؟

قال: بل القتل.

قال الصادق ـ عليه السلام ـ، فكيف رضي الله في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلاّ بأربعة؟

ثم قال ـ عليه السلام ـ: الصلاة أفضل أم الصيام.

قال: الصلاة أفضل.

قال عليه السلام: فيجب على قياسك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

ثم قال عليه السلام: البول أقذر أم المني؟

قال: البول أقذر.

قال عليه السلام: يجب على قياسك أنه يجب الغسل من البول دون المني، وقد أوجب الله الغسل عن المني دون البول.

قال أبو حنيفة: إنما أنا صاحب حدُود.

فقال عليه السلام: فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح، وأقطع قطع يد رجل، كيف يقام عليه الحد؟

قال أبو حنيفة: أنا صاحب رأي.

قال عليه السلام: فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوّج عبده في ليلة واحدة، ثم سافرا وجعلا المرأتين في بيت واحد فولدتا غلامين، فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك، وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث؟

قال أبو حنيفة: إنما أنا رجل عالم بمباحث الانبياء.

قال عليه السلام: فأخبرني عن قوله تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى دعوة فرعون: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فاطر/٤٤، فلعلّ منك شك؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: ذلك من الله شك إذ قال: لعله.

قال أبو حنيفة: لا أعلم.

قال الصادق عليه السلام: يا أبا حنيفة لا تقس فإن أول من قاس إبليس فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الاعراف/١٢، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار لعرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الاخر.

يا أبا حنيفة: إنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس إبليس، ولم يُبن دين الاسلام على القياس، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صوابا ومن دونه خطأ لان الله تعالى قال: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ النساء/١٠٥، ولم يقل لغيره، وتزعم أنك صاحب حدُود ومن أُنزلت عليه أولى بعلمها منك، ولو لا أن يقال: دخل على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء فقس إن كنت قيّاسا!!

قال أبو حنيفة: لا تكلمت بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال الصادق عليه السلام: كلا إن حب الرئاسة غير تاركك كما لم يترك غيرك من كان قبلك))[٢١].

يرى الباحث أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أراد أنْ يكشف عن الفهم الخاطئ لدى أبي حنيفة، وكيفية تعامله مع المشكلات، وتحديد قدرته على إنزال الأحكام على الوقائع، والأحداث، وذلك من خلال إجابته على مجموعة من الأسئلة السابرة التي وظفها الإمام عليه السلام بشكل محكم فجعل أبا حنيفة يستشعر مواطن الخطأ في أحكامه بنفسه، ثم إنَّ الإمام عليه السلام لم يعلق على رأيه أول الأمر، وإنما جاء التقويم بعد أنْ انتهى مما عنده.

٣- (يروى عن هشام بن الحكم، قال: كان بمصر زنديق يبلغه عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام أشياء، فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، وقيل: إنه خارج بمكّة، فخرج إلى مكّة ونحن مع أبي عبد اللّه عليه السلام فصادفنا في الطواف وكان اسمه عبد الملك وكنيته أبو عبد اللّه، فضرب كتفه كتف أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الملك، قال: فما كنيتك؟ قال: أبو عبد اللّه، فقال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: فمن هذا الملك الذي أنت عبده؟ أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ واخبرني عن ابنك عبد إِله السماء أم عبد إِله الأرض؟ قل ما شئت تخصم. فلم يحر جواباً.

ثمّ أن الصادق عليه السلام قال له: اذا فرغت من الطواف فأتنا، فلما فرغ أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام أتاه الزنديق فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده، فقال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام للزنديق: أتعلم أن للأرض تحتاً وفوقاً؟ قال: نعم، قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا، قال: فما يدريك ما تحتها؟ قال: لا أدري إِلا أني أظن أن ليس تحتها شيء، فقال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: فالظنّ عجز فلِم لا تستيقن، ثمّ قال له: أفصعدت الى السماء؟ قال: لا، قال: أفتدري ما فيها؟ قال: لا، قال: عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل الى الأرض ولم تصعد الى السماء، ولم تجز هناك فتعرف ما خلفهنّ، وأنت جاحد بما فيهنّ، فهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟ قال الزنديق: ما كلّمني بها أحد غيرك. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: فأنت من ذلك في شكّ فلعلّه هو ولعلّه ليس هو، فقال الزنديق: ولعلّ ذلك، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: أيّها

الرجل ليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، ولا حجّة للجاهل، يا أخا أهل مصر تفهم عنّي فإنّا لا نشكّ في اللّه أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان، قد اضطرّا ليس لهما مكان إلا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلِم يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرّين فلِم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرّا واللّه يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرّهما أحكم منهما واكبر فقال الزنديق: صدقت.

ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السلام: يا أخا أهل مصر إن الذي تذهبون إليه وتظنّون أنه الدهر إن كان الدهر يذهب بهم فلِم لا يردّهم؟ وإن كان يردّهم لِم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر، لِم السماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ لِم لا تنحدر السماء على الأرض؟ لِم لا تنحدر الأرض فوق طباقها؟ ولا يتماسكان ولا يتماسك مَن عليها؟ قال الزنديق: أمسكهما اللّه ربّهما سيّدهما. قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبد اللّه عليه السلام[٢٢].

يرى الباحث أن الإمام الصادق عليه السلام استخدم الأسئلة السابرة التوضيحية، ليحث هذا الزنديق ويشجعه على التفكير ليستنتج العلاقات السببية، فعمل الإمام عليه السلام على وضع الرجل في الشك والحيرة من أمره، ولا سبيل أمامه إلا الإقرار فقال: (ما كلمني بها أحد غيرك) فالإمام جعل الرجل يقر بالربوبية لله سبحانه وتعالى والإيمان به من خلال الأسئلة التي بينت الفهم الخاطئ عنده.

٤- عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن أبي إسحاق، عن عدة من أصحابنا أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم فقال له: (ألك رب؟ فقال: بلى، قال: قادر؟ قال: بلى قادر قاهر، قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ فقال هشام: النظرة. فقال له: قد أنظرتك حولا ! ثم خرج عنه، فركب هشام إلى أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله، أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله وعليك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عماذا سألك؟ فقال: قال لي كيت وكيت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، كم حواسك؟ قال: خمس، فقال: أيها أصغر؟ فقال: الناظر. قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها، فقال: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى فقال: أرى سماء وأرضا ودورا وقصورا وترابا

وجبالا وأنهارا، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة ولا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة. فانكب هشام عليه وقبل يديه ورأسه ورجليه وقال: حسبي يا ابن رسول الله. فانصرف إلى منزله)[٢٣].

يرى الباحث أنَّ الإمام الصادق عليه السلام أثار مشكلة مرتبطة بالسؤال الذي طرحه هشام بن الحكم على لسان الزنديق ليثير عمليات عقلية لديه حتى يستطيع من خلالها أنْ يواجه المشكلات الجديدة التي تحتاج إلى حل، وليتمكن من الوصول إلى الحل، فالإمام لم يقل لهشام من أول وهلة (بلا) إن الله قادر، بل أوصل هشاما إلى معرفة هذه القدرة بنفسه من خلال التدرج بالأسئلة السابرة.

٥- إن الإمام الصادق عليه السلام لم يستعمل هذا الأسلوب هو فحسب بل علمه لطلبته

يروى أن الإمام الصادق عليه السلام طلب من هشام بن الحكم أن يخبره كيف صنع بعمرو ابن عبيد، وكيف سأله "، فقال هشام: (يا ابن رسول الله، إني أجلك واستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: " إذا أمرتكم بشئ فافعلوا ". قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك علي فخرجت إليه، ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمر بن عبيد، وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها، والناس يسألونه فأستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم، إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بني، أي شئ هذا من السؤال، وشئ تراه كيف تسأل عنه؟ ! فقلت: هكذا مسألتي، فقال: يا بني، سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيها، قال لي: سل: قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الالوان والاشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذق به الطعم، قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت فما تصنع بها:؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال نعم: قلت فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد

على هذه الجوارح والحواس، قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب. فقال: لا، قلت: كيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني، إن الجوارح إذا شكت في شئ شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح، قال: نعم، قلت: لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح، قال: نعم، فقلت: له يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟ قال: فسكت ولم يقل لي شيئا، ثم التفت إلي فقال لي: أنت هشام بن الحكم. فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة. قال فأنت إذا هو، ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال - يونس -: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: " يا هشام من علمك هذا؟ " قلت: شيء أخذته منك وألفته، فقال: " هذا والله مكتوبا في صحف إبراهيم وموسى")[٢٤].

ذيل الحديث يكشف لنا أن الإمام الصادق عليه السلام قد لقن أصحابه أسلوب المحاججة والمناظرة انتصارا للحق وإزهاقا للباطل قوله عليه السلام: " يا هشام، من علمك هذا؟ قال: شيء أخذته منك وألفته ". فنلاحظ في هذه الرواية أن هشام بن الحكم قد استدرج خصمه - عمرو بن عبيد - بالأسئلة السابرة التي بدت للوهلة الأولى سطحية لا تستدعي عمليات عقلية عليا ثم أخذت هذه الأسئلة تزداد عمقا وتحتاج استنتاجا عقليا حتى ألزم خصمه بما يقره العقل، إذ عقد مقارنة بين القلب - لكونه المرجع الأخير فيما لو شكت الجوارح بالنتائج، لأن القلب يستيقن اليقين ويبطل الشك - وبين الإمام عليه السلام الذي مآل العباد إليه، وهو دليلهم في إظهار الحق وكشف الباطل، فلا غنى للناس عنه، وهو الحجة على العباد. بهذه المقارنة أفحم هشام بن الحكم عمرو بن عبيد فلم يقل شيئا إذ جعله أمام حقيقة لا مناص من القبول بها بعد إن أثبت ذلك بالدليل العقلي.

المبحث الثالث

مطابقة أسئلة الإمام عليه السلام السابرة مع مفاهيمها الحديثة

أولاً: من حيث نوعها: استعمل الإمام عليه السلام أنواع الأسئلة السابرة في مناظراته وكما سنوضح على سبيل المثال لا الحصر:

١- الأسئلة السابرة التوضيحية مثل قول الإمام عليه السلام: (يا عمرو لو أن الأُمّة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة فقيل لك: ولّها من شئت، مَن تولّي؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين، قال: بين كلّهم؟ قال: نعم، قال: بين فقهائهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قريش وغيرهم؟ قال: العَرب والعجم، قال: يا عمرو أتتولّى أبا بكر وعمر أو تتبرّأ منهما؟ قال: أتولاهما، قال: يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرّأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما...).

٢- الأسئلة السابرة التركيزية مثل قول الإمام عليه السلام: (ياهشام، كم حواسك؟ قال: خمس، فقال: أيها أصغر؟ فقال: الناظر. قال: وكم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها، فقال: يا هشام فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى فقال: أرى سماء وأرضا ودورا وقصورا وترابا وجبالا وأنهارا، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة ولا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة).

٣- الأسئلة السابرة التبريرية التي استعملها هشام بن الحكم في مناظرته مع عمرو بن عبيد، والتي أخذها عن الامام الصادق عليه السلام اذ قال هشام لعمرو: (ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الالوان والاشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة،

قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذق به الطعم، قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت فما تصنع بها:؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال نعم: قلت فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب. فقال: لا، قلت: كيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني،

إن الجوارح إذا شكت في شئ شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح، قال: نعم، قلت: لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح، قال: نعم، فقلت: له يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟ قال: فسكت ولم يقل لي شيئا).

ثانيا: من حيث صفات السؤال السابر: اتصفت أسئلة الإمام عليه السلام بصفات السؤال السابر آنفة الذكر من حيث:

١- انها كانت تلي جواب المتلقي، وهذا الأمر بدا واضحا في المناظرات التي عرضناها.

٢- هدف إلى استخراج المزيد من الإجابات وخاصة عندما تكون إجابة المتلقي غير صحيحة أو ناقصة وهذا الأمر لوحظ جلياً في المناظرات.

٣- معمقة بشكل تجعل الفرد يفكر ويتعمق في الفكرة من أجل تحرير إجابة مقنعة.

٤- استقصائية تتدرج في الاستجابة بهدف تشجيع الفرد على الإجابة والتعمق فيها بهدف إيصاله إلى تقويم نفسه بنفسه.

ثالثا: من حيث فوائدها: كانت أسئلة الإمام عليه السلام ذات فوائد جمة بحيث أرشدت المعاندين إلى جادة الصواب، وعملت على تصحيح أفكارهم،فضلا عن أنها:

١- ساعدت المتلقين على التقويم الذاتي لإجاباتهم واتخاذ الموقف المناسب حيالها وهذا ظهر جلياً من خلال عدول بعض المخالفين عن آرائهم، مثل الزنديق الذي آمن على يد الإمام عليه السلام.

٢- ركزت على المستجيب وإعطائه الفرصة في التفكير بالإجابة.

رابعاً: من حيث أهداف الأسئلة السابرة: تجسدت في كلام الإمام عليه السلام أهداف الأسئلة السابرة من حيث:

١- التوضيح: قد استخدم الإمام عليه السلام الأسئلة لغرض توضيح الفكرة الصحيحة اذ كانت أسئلته توليدية أي كل سؤال يرتبط بسؤال آخر وصولا إلى الجواب الصحيح مثل قوله عليه السلام: لعمرو بن عبيد (ما تقول في الصدقة؟ قال: فقرأ الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فاطر /٦٠، قال: نعم فكيف تقسّم بينهم؟ قال: اقسّمها على ثمانية أجزاء، فاعطي كل جزءٍ من الثمانية جزءاً، فقال عليه السلام إن كان صنف منهم عشرة آلاف، وصنف رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد مثلما جعلت لعشرة آلاف؟ قال: نعم، قال: وتصنع بين صدقات أهل الحضر والبوادي فتجعلهم سواء؟ قال: نعم، قال: فخالفت رسول اللّه صلى الله عليه وآله في كلّ ما به قلت في سيرته، كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقسّم صدقة البوادي في أهل البوادي، وصدقة الحضر في أهل الحضر، ولا يقسّمها بينهم بالسويّة، إنما يقسّمها قدر ما يحضره منهم، وعلى ما يرى وعلى ما يحضره، فإن كان في نفسك شيء ممّا قلت فإن فقهاء أهل المدينة ومشيختهم كلّهم لا يختلفون في أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله كذا كان يصنع)، وهذا من أبرز ما يميز الأسئلة السابرة عن الأسئلة الأخرى.

٢- كانت أسئلة الإمام عليه السلام تهدف على نقد الإجابة أو تعديلها لتصحيح الفهم الخاطئ وهذا الأمر ظهر جلياً في كثير من المواقف

٣- المتابعة: كانت أسئلة الإمام عليه السلام تحث على المتابعة من أجل إتمام الفكرة لدى المتلقي.

٤- التركيز وتحديد المعنى: كانت أسئلة الإمام عليه السلام مركزة جداً إذ من خلالها عَدِل كثير من المخالفين عن آرائهم الضالة.

٥- كان الإمام عليه السلام يطلب من المتلقي تدعيم رأيه مثل مناظرة الإمام عليه السلام لأبي حنيفة.

خامساً: من حيث شروط استعمالها: من خلال اطلاعي على مناظرات الإمام عليه السلام وجدت أكثر شروط الأسئلة السابرة متحققة فيها مثل:

١- إمهال المتلقي للتفكير بالجواب بعد طرح السؤال عليه.

٢- التغذية الراجعة: استعمل الإمام عليه السلام التغذية الراجعة لتصحيح الفهم الخاطئ في قوله لأبي حنيفة: (يا أبا حنيفة: إنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس إبليس، ولم يُبن دين الإسلام على القياس، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صوابا ومن دونه خطأ لان الله تعالى قال: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ النساء/١٠٥، ولم يقل لغيره، وتزعم أنك صاحب حدُود ومن أُنزلت عليه أولى بعلمها منك، ولو لا أن يقال: دخل على ابن رسول الله - صلى الله عليه وآله - فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء فقس إن كنت قيّاسا !! قال أبو حنيفة: لا تكلمت بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس)،وقوله عليه السلام للزنديق: (يا أخا أهل مصر تفهم عنّي فإنّا لا نشكّ في اللّه أبداً، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان، قد اضطرّا ليس لهما مكان إلا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرّين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟ اضطرّا واللّه يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرّهما أحكم منهما واكبر(١) فقال الزنديق: صدقت، ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السلام: يا أخا أهل مصر إن الذي تذهبون إليه وتظنّون أنه الدهر إن كان الدهر يذهب بهم فلم لا يردّهم؟ وإن كان يردّهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرّون يا أخا أهل مصر، لم السماء مرفوعة والأرض موضوعة؟ لم لا تنحدر السماء على الأرض؟ لم لا تنحدر الأرض فوق طباقها؟ ولا يتماسكان ولا يتماسك مَن عليها؟ قال الزنديق: أمسكهما اللّه ربّهما سيّدهما)

٣- قبول إجابة المتلقي مهما كانت بعيدة عن الصواب وهذا الأمر بدا واضحا في كثير من الإجابات الخاطئة.

٤- عدم الاستهزاء وتجريح المتلقي مهما كانت إجابته خاطئة وكان الإمام عليه السلام يعامله بحسن لغرض إيصاله إلى الجواب الصحيح وإقناعه.

من خلال ما تقدم يرى الباحث أن ما جاءت به الدراسات الحديثة فيما يرتبط بالأسئلة السابرة من حيث أنواعها، وأهميتها، وفائدتها، وشروطها، ومواصفاتها كانت امتداد لما جاء به الإمام الصادق عليه السلام، إلا أن المحدثين بوبوا هذه المفاهيم، ووضعوا لها

خطوات عملية أصبحت واضحة للعيان، ووضعوا لها مسميات تميزها عن أنواع الأسئلة الأخرى.

الخاتمة:

إلى هنا أمل أن نكون قد أوضحت أسلوبا تربويا استعمله الإمام جعفر الصادق عليه السلام هذا الأسلوب الذي كان له الأثر البالغ في التوصل إلى الحقيقة وإفحام الخصم، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا البحث جاء اسهامة متواضعة للتواصل مع ماضي الأمة المشرق بما يثبت أن التربية في الإسلام وفي فكر أهل البيت عليهم السلام ما زالت وستبقى قادرة على العطاء في ظل ما يواجه الإسلام اليوم في العالم من ظاهرة الاستلاب الحضاري ومحاولة محو الطابع الإسلامي وتراثه الذي حافظ عليه المسلمون عبر القرون فضلاً عن محو الثقافة الإسلامية بكل مقوماتها المادية والمعنوية وتدمير العقيدة، واقتلاع الأجيال من أصولها وإذابتها في المجتمع المادي الذي لا همَّ له سوى الدنيا، فقد أوهموا الكثير من شبابنا وبعض مثقفينا بأننا أمة من دون فكرٍ تربوي، من دون آراء في التربية وعلم النفس، ويرجع هذا الفشل في جزءٍ منه إلى قلة وجود خبراء التربية الذين يجمعون بين الفكر الإسلامي العميق والمعرفة الشاملة لاتجاهات الفكر التربوي العالمي المعاصر ومشكلاته، بحيث يمكنهم أن يضعوا الحلول المناسبة لمشكلاتنا التربوية المعاصرة وإيجاد النظام التربوي الإسلامي القادر على بعث الأُمة الإسلامية.

وفي ضوء ما تقدم استنتج الباحث الآتي:

١- إن أسلوب الأسئلة السابرة التي أتت به المدارس التربوية الحديثة مستوحى من نتاج مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الصادق عليه السلام الذين كانت لهم وما تزال الريادة في مجال التربية والتعليم.

٢- كانت أسئلة الإمام عليه السلام السابرة منذ ذلك الحين متطابقة مع مفاهيمها التي نادت بها الدراسات الحديثة من حيث: الأنواع، والشروط، والفوائد وغيرها.

٣- إن استعمال الإمام الصادق عليه السلام لهذا الأسلوب مع المعاندين والمخالفين ليس لبيان الحقيقة فحسب، بل جعلهم يؤمنون بها.

٤- تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام أخذوا هذا الأسلوب عن الإمام عليه السلام واستعملوه في

مناقشاتهم ومناظراتهم وكانت لهم الحجة البالغة.

وأوصى الباحث بالآتي:

١- الاهتمام بالتراث الإسلامي اهتماما يليق به من خلال قيام المؤسسات التعليمية بحث الطلبة على البحث في هذا المجال وربطه بالحاضر عن طريق دراسات مقارنه بين ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الصادق عليه السلام من دور حضاري وبين منظري وعلماء الغرب وتأثيرهم الفكري.

٢- قيام وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي بعقد الندوات والدورات والمحاضرات التثقيفية لتوضيح أهمية التراث العربي الإسلامي، وبيان دور أئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الصادق عليه السلام في تطوير الحضارة العربية الإسلامية.

٣- حث طلبة المراحل المنتهية في الكليات التي تعنى بإعداد مدرسي التربية الإسلامية ومدرساتها على إعداد بحوث التخرج ضمن إطار تأصيل الطرائق والأساليب التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية وأئمة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الصادق عليه السلام في التربية والتعليم والتأديب.

هوامش البحث

(١) لسان العرب: ابن منظور (سلب): ٤٧٤/١

(٢) الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال: محسن علي عطية / ٢٩

(٣) لسان العرب (سبر): مصدر سابق:٤ / ٣٤١

(٤) تدريس العلوم في مراحل التعليم العام: خليل يوسف الخليلي، وآخرون /٢٥٧

(٥) أسئلة التفكير الابداعي: يوسف قطامي، ورياض الشديفات:١٧٤

(٦) التدريس الفعال(تخطيطه - مهاراته - استراتيجياته - تقويمه): عفت مصطفى الطناوي: ١١٥

(٧) استراتيجيات التدريس: شاهر ذيب أبو شريخ / ١٤١

(٨) التدريس الفعال(تخطيطه - مهاراته - استراتيجياته - تقويمه) مصدر سابق:١١٦

(٩) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٤١-١٤٢

(١٠) التدريس الفعال(تخطيطه - مهاراته - استراتيجياته - تقويمه) مصدر سابق: ١١٦

(١١) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٤٣
(١٢) التدريس الفعال(تخطيطه – مهاراته – استراتيجياته – تقويمه) مصدر سابق: ١١٧
(١٣) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٤٣
(١٤) أثر استعمال الأسئلة المتشعبة والأسئلة السابرة في تحصيل طلبة الصف الأول الثانوي في مادة تاريخ الأدب والنصوص: محمد عبد الكريم نافع الطراونة: ٦٤
(١٥) استراتيجيات التدريس: مصدر سابق: ١٣٨
(١٦) المصدر نفسه / ١٣٩
(١٧) فاعلية الأسئلة السابرة التوضيحية في التحصيل النوعي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء: مصطفى زهير حسن: ٢١
(١٨) طرق التدريس العامة: علي خير العصري، ويوسف العنيزي:١٤٠ – ١٤١
(١٩) أسئلة التفكير الابداعي: مصدر سابق /١٧٤
(٢٠) الاحتجاج: الطبرسي: ١١٩/١-١٢٣
(٢١) المصدر نفسه: ١١٦/٢-١١٨
(٢٢) الكافي: الكليني: ٧٣/١-٧٥، و بحار الأنوار: المجلسي ٣/ ٥٢
(٢٣) بحار الأنوار: مصدر سابق ١٤١/٤
(٢٤) المصدر نفسه: ٢٤٩/٥٨-٢٥٠

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.

٢- أبو شريخ، شاهر ذيب. **استراتيجيات التدريس**، ط١، المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.
٣- حسن، مصطفى زهير. **فاعلية الأسئلة السابرة التوضيحية في التحصيل النوعي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة علم الأحياء**، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٥م.
٤- الحصري، علي خير، ويوسف العنيزي. **طرق التدريس العامة**، مكتبة الفلاح، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م.

٥- الخفاجي، قصي شهاب أحمد. **أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل طلاب الصف الرابع الإعدادي في مادة القواعد**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ٢٠٠٩م.

٦- الخليلي، خليل يوسف، وآخرون. **تدريس العلوم في مراحل التعليم العام**، دار العلم للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٦م.

٧- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب. **الاحتجاج**، تعليق السيد محمد باقر الخرسان، سلسلة كتب المناظرات (٥)، مركز الأبحاث العقائدية (د.ت).

٨- الطراونة، محمد عبد الكريم نافع. **أثر استعمال الأسئلة المتشعبة والأسئلة السابرة في تحصيل طلبة الصف الأول الثانوي في مادة تاريخ الأدب والنصوص**، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

٩- الطناوي،عفت مصطفى. **التدريس الفعال(تخطيطه - مهاراته - استراتيجياته - تقويمه)** ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،٢٠٠٩م.

١٠- عزيز، ايمان مجيد. **أثر استعمال الأسئلة السابرة في تحصيل المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الأول معهد إعداد المعلمات**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية المعلمين، جامعة ديالى، ٢٠٠٢م.

١١- عطية، محسن علي. **الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال**، ط١،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٨ م.

١٢- قطامي، يوسف، ورياض الشديفات. **أسئلة التفكير الابداعي**،ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،٢٠٠٩م.

١٣- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق االرازي(٣٢٨هـ). **أصول الكافي**، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري،ط٣،دار الكتب الاسلامية،تهران،١٣٨٨هـ.

١٤- المجلسي، العلامة الشيخ محمد باقر. **بحار الأنوار**، ط٢،مؤسسة الوفاء، بيروت،١٩٨٣م.